البحث الرابع

مدى تأثير الدين المندائي على المجتمع

الحضارات تتفاعل فيما بينها وكل الأقوام تؤثر وتتأثر بالأقوام الأخرى في عاداتها وتقاليدها ، وحتى في طقوسها وشعائرها وثقافتها ، ويذكر لنا التاريخ العربي أن القائد سعد بن أبي وقاص عندما فتح العراق في عام ٣٦ هجرية؛ وجد أن الفكر المندائي منتشر في العراق ، وهناك الكثير من الممارسات والطقوس يمارسها الناس ، إما مندائية أو مانوية ، وبذل جهود جبارة للتخفيف منها وزرع قيم وعادات إسلامية جديدة لم يتعود عليها الناس سابقًا.

الصابئة المندائيون أول من مارس شعيرة التعميد وتعلَّمها الآخرون منهم ، وخاصة المسيحيين الذين طوروها نحو الأسهل ، كذلك المندائيون في الجزيرة العربية أو في جنوب العراق وإيران يمارسون الوضوء بالماء قبل الصلاة ، فأصبح الوضوء فرضًا إسلاميًا يسبق الصلاة.

علماء حران وشعراؤهم وأدباؤهم وعلماء الفلك والطب والفلسفة ساهموا مساهمة فعالة في ترجمة الحضارات القديمة مثل الإغريقية والرومانية والهندية والفارسية ، وغيرها إلى اللغة العربية ، وكان هؤلاء متمسكين بمندائيتهم ويعملون في دواوين الدولة العباسية ودار الخلافة ودار الحكمة وغيرها ولهم علاقات طيبة وواسعة مع الأمراء والقادة والعلماء الآخرين الذين تأثروا وأثروا بهم ، فهذا الشريف الرضي والشريف المرتضي وعلاقتهم المتينة مع أبو إسحاق الصابي الذي أعطاهم وأخذ منهم وأفاد واستفاد ، وكان من الحاضرين والمحاضرين في مجلس الشريف الرضي وله رواده ومريديه.

الصابئة المندائيون قوم مسالمون لديهم من الحب ما يكفي الجميع ، ولكون معظمهم في وضع معيشي جيد وظيفيًا ومهنيًا أعطاهم ميزة الاحترام وحب

التقرب منهم والتعرف عليهم والاستفادة قدر الإمكان منهم، وقد عرف الناس كل الناس صدق نواياهم وحسن سريرتهم وقوة إيمانهم كموحدين لله عز وجل، وأنهم لا يعتدون على أحد ولا يأخذون أكثر من حقهم.

إن للبيت والدين تأثير كبير على تربية الإنسان وحسن أخلاقه وتصرفاته، فلقد لاحظنا بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ وسقوط الدولة العراقية وغياب القانون؛ الناس تحكمها ثلاث ضوابط (القانون والدين والأخلاق)، ولأن القانون ليس هناك من يحميه أو يطبقه، بقي واعز الدين والأخلاق.

فتجد من لا يؤمن إيمانًا حقيقيًا بتعاليم الدين ولم يعرف أهله أن يربوه تربية فاضلة، شذ وأصبح سلابًا ونهابًا أو قاتلاً، ولكن من الصعوبة أن تجد صابئيًا مندائيًا يقتل أو يسلب أو ينهب أموال الدولة أو الناس إلا ما ندر.

إن الدرفش (الدرافشا) ويسمونه علم يهانا الصابغ (يوحنا المعمدان) (نبي الله يحيى) عبارة عن غصنين من الزيتون متقاطعين، ينشر عليهما قطعة من القماش الأبيض (إيشارب أبيض) وفي رأسه غصن من نبات الأس، كان نبي الله يحيى يثبته على مرتفع لتستدل به الناس إلى مكان النبي يحيى وموضع التعميد.

ولأن السيد المسيح صُلب على لوحين متقاطعين من الخشب سموه صليبًا يتباركون به ويرسمونه على صدورهم رمزًا للصلاة... والدرفش عند الصابئة المندائيين يرمز إلى الجهات الأربعة، وقطعة القماش البيضاء ترمز إلى السلام والنقاء والطهارة، وغصن الآس يرمز إلى ديمومة الحياة وسلامتها من الشر ويسموه علم يحيى أو درافشا يهانا.

والصليب والدرفش متشابهان، والدرفش أقدم من الصليب، وكلاهما رموز أصلها بلاد شنعار أي بلاد ما بين النهرين، الدين المندائي كباقي الأديان السماوية تأمر تعاليمه بتجنب الكذب والزنا والسرقة والقتل وكل المحرمات التي حرمها الله، ويأمر رجال الدين ألا يكنزوا الذهب و الفضة والسلاح والمال،

لكي يبقوا منزهين عن الخطيئة، ويأمر المندائيين كافة ألا يقابلوا الشر بالشر والقتل بالقتل ، وإذا تعرضوا إلى ذائقة عليهم الصبر والتمسك بالإيمان (الناصروثا).

ولهذا لم يفكروا أو لم يتمكنوا من بناء دولة على مر العصور، بل لم يفكروا في ذلك ولم يخططوا لذلك لكونهم يعتبرون دينيًا هذه الدنيا زائلة، والحياة الثانية أهم وأبقى ، وأن هذه الدنيا قصيرة ومملوءة بالآثام والمرض نهايتها الموت وهي بالنتيجة فانية.

ورغم أن الصابئة المندائيين يحبون الحياة ويحبون الناس، كل الناس، ويؤمنون بكل الأنبياء والرسل والكتب المنزلة وبالعمل الصالح وبالآخرة، فهم على قلتهم متمسكين بتعاليم دينهم ووصايا الحي العظيم وتعاليم أنبيائهم ، ولهذا بقوا متماسكين ولم يذوبوا في الأقوام الجديدة القوية الكبيرة بسبب أمانتهم وصدقهم ونبذهم للعنف وحبهم للناس وكفائتهم في عملهم وفي مِهنهم، وإخلاصهم للوطن وللمجتمع ومشاركتهم إخوانهم المسلمين والمسيحيين معترك الحياة في السراء والضراء... فهم يشاركونهم أفراحهم وأتراحهم وأعيادهم ، ويشتركون معهم كالأخوة وبدون أي نوع من الفرقة أو التعصب، حتى لا تجد حاليًا منطقة معينة تجمعوا بها وسميت باسمهم وإنما منتشرون بين جميع أبناء المجتمع.

إن العراقيين بُناة حضارة بلاد ما بين النهرين ولقد ورثوا ذكاء وعبقرية السومريين والبابليين والآشوريين والعباسيين وأن جينات العبقرية كامنة في عقولهم، وبسبب تعرض العراقيين إلى الغزو والاضطهاد لقرون عديدة كمنت هذه الجينات وتبخرت هنا وهناك بعض العبقريات التي يفتخر بها العراقيين، ولو أتيحت لهم ظروف مناخية ملائمة من رعاية وحرية وتوفر مستلزمات التقدم والتطور لتفتقت عبقريات كثيرة وكبيرة في كافة المجالات ، ولكون الصابئة المندائيين من اللبنات الأولى لهذه الحضارة الرائعة على مر العصور، نبغ منهم علماء وأدباء وأطباء ومهندسون ومترجمون وشعراء ومؤلفون

فسيكون تأثيرهم واسعًا وكبيرًا في عملية التطور ومواكبة المجتمعات المتطورة وربما التفوق عليها.

ولأنهم يعتبرون أنفسهم جذر التوحيد الأول ومن الأديان القديمة، وأن أخر أنبيائهم يحيى بن زكريا (ع) قد ذكرته كل الكتب السماوية بالحسنى والقيم النبيلة؛ فهم يستمدون من تعاليمه شيئًا من قوتهم وتمسكهم بالقيم والأخلاق الفاضلة التي تجعل الآخرين يكنون لهم الاحترام والتقدير.

* * *

بعد أن ألقت الحرب العالمية الأولى أوزارها وسيطر الانجليز على بلاد ما بين النهرين، فُتح عدد من المدارس في أنحاء العراق وطورت وتكاثرت بعد قيام الحكم الملكي والبدء في التخطيط لبناء دولة، وكان الصابئة المندائيون من الأوائل الذين التحقوا بهذه المدارس كطلاب وكمعلمين، ويشهد الجميع بكفاءة المعلمين من أبناء هذه الطائفة وتفانيهم بالتعليم وتربية أولادنا، كل أولادنا وتشجيعهم على التعلم والدراسة وعلى القيم والأخلاق وحب الوطن وحب الناس والصدق والأمانة، وهذا لا يعني أن الصابئة المندائيين وحدهم يتمتعون بالكفاءة والإخلاص، فإخوانهم العراقيين لا يقلون عنهم بأي حال من الأحوال، ولكن الصفة الغالبة لقلة عددهم قد تميزهم أحيانًا، حيث من النادر حاليًا أن تجد مندائيًا أُميًا لم يتعلم القراءة والكتابة والحصول على شهادة.

وأذكر مرة أن أحد المفتشين قد زار إحدى المدارس فوجد مديرها ومعظم المعلمين من الصابئة المندائيين، فأعجب بالمدرسة والنظام والنظافة والمستوى التعليمي، وبنتائج البكلوريا للسنين السابقة، وتقدمهم بالمناهج على غيرهم من المدارس، وكثرة وسائل الإيضاح والتزام المعلمين، وعدم وجود أي مشكلة، فقال أتمنى أن تكون كل مدارس العراق بهذا المستوى، والمعلمين القدماء دائمًا يذكرون ذلك في أحاديثهم ويتباهون بذلك.

كان أيام زمان؛ أي قبل عدة أجيال هناك من المتشددين من إخواننا المسلمين ينظرون إلى الصابئة المندائيين نظرة شك وريبة وخاصة في القرى والأرياف، ويعتقدون أنهم لا يؤمنون بالله تعالى، ولهذا يتجنبون الأكل معهم حتى أن آباءنا يذكرون أن حلاق القرية كان لا يحلق لهم لأن المُلا يقول له حرام، وبائعة السمك والخضار لا توافق أن يمدوا أياديهم لاختيار ما يريدون لكي لا يتنجس الباقي كما يزعمون.

بمرور الوقت وبتطور المجتمع وبالتعليم والمعاشرة والتعرف عن قرب تغير الحال تمامًا، وأصبح الجميع أخوة وأصدقاء وأبناء وطن واحد، وعرفوا أن الصابئة المندائيين قوم موحدون يعبدون الله ويسبحونه ويعظمونه ويمجدونه، ولهم كتاب منزل وأنبياء وقيم وعادات حميدة وصديقهم صديق وهم ناس شرفاء يعتزون بالجيرة ويحافظون على الأرض والعرض، لا يغشون ولا يغدرون ولا ينظرون إلى ما ليس لهم، ومن حسن الحظ أن يكون لك جار أو صديق من أبناء الصابئة المندائية.

كانت الدولة العراقية أيام زهوها تسميهم الطائفة الذهبية لخلوهم من الجواسيس والعصابات وقلة المشاكل فيما بينهم أو بينهم وبين إخوانهم الآخرين من أبناء الوطن الواحد، ولهم تشكيلاتهم وتنظيماتهم، وقد تستغرب عندما تعرف أن لديهم لجنة اجتماعية تجتمع كل يوم جمعة في مندي الطائفة لحل المشاكل بين المتخاصمين، والكل يحترم هذه اللجنة ويقبل بحلولها لأن الذين يديرونها رجال لهم وزنهم الاجتماعي ويحكمون بالحق والعدل بعد أن يأخذوا تعهدًا من الجانبين بالقبول بالقرار الذي تقره اللجنة، وبذلك تحل الكثير من المشاكل الاجتماعية دون الداعي لوصولها إلى المحاكم.

كذلك توجد لديهم محكمة شرعية مندائية في بغداد معترف بها من قبل وزارة العدل يديرها أناس أكفاء، من محامين ورجال دين ووجهاء ومرشدات اجتماعيات للبت في قضايا الزواج والطلاق وقراراتها عادلة ومرضية للجميع،

يطبقون تعاليم الدين والقوانين المرعية، ومعظم قضايا الطلاق المرفوعة لها انتهت بالصلح، لأن هدف المحكمة المحافظة على العائلة المندائية قدر الإمكان.

والمحكمة لها صبر ومطاولة وقدرة على تقريب وجهات النظر، إذ أحيانًا المرافعات بين الزوج والزوجة تستمر عدة شهور وتتدخل اللجنة الاجتماعية بقوة لحل الخلافات وتذليلها، وقد استفادت بعض الطوائف المتآخية في الوطن الأم من هذه الظاهرة الجميلة، وأخذوا يحاكونها ويستفيدون منها كثيرًا. وللاستفادة الأوسع من ذلك شكلت بعض الجمعيات ولربما معظمها في دول المهجر لجان اجتماعية لحل مشاكل المغتربين وتقريب وجهات النظر من أناس لهم احترامهم وتقديرهم من قبل الجميع.

إن الكثير من إخواننا المسلمين والمسيحيين وحتى اليزيديين والشبك عملوا مع الصاغة المندائيين وتعلموا منهم هذا الفن الرفيع، وفتحوا محلات وورش، وصاغة الكاظم أكبر دليل على ذلك بعد هجرة عدد كبير من الصابئة المندائيين إلى دول المهجر، سلموا أو شاركوا أو باعوا محلاتهم إلى إخوانهم العراقيين ودون أي نوع من التعصب أو الأنانية، وأعرف الكثير هنا في هولندا أو السويد أو أستراليا مثلاً يدير أعمالهم حاليًا بالوطن الأم إخوانهم من الأديان الأخرى، بكل حرص وثقة وأمانة... وهذه ظاهرة صحية تدل على عمق حضارة وادي الرافدين وأهله، رغم ما جرى من ظواهر مؤذية ستذهب مع الزبد ويبقى ما ينفع الناس، { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرض }[1].

إن الكثير من الأكلات المندائية محببة لدى العراقيين وخاصة البهارات التي يصنعوها في البيوت من خلطات خاصة والمشهورة (ببهارات الصبة)، ويستطيع حاليًا أي عراقي يذهب إلى الشورجة (سوق البهارات) ويشتري بهارات صبة كما يسمونها، وهي نوعًا غالية لكونها تحتوي على الكثير من

١- القرآن الكريم : سورة ردع ،لآلآية ١٧

المطيبات ، ولي عدد من الأصدقاء يتمنون دائمًا أن يأكلوا البط أو البش أو الدجاج المحشي على الطريقة المندائية.

إن تعميد النبي يحيى (يوحنا المعمدان) للسيد المسيح عليهما السلام ، واعترافه كرسول بشره الله به وأمره بتعميده ، وانتشار دعوة السيد المسيح وكثرة أتباعه ومحبيه وانتشار المعلمين الأوائل في أنحاء المعمورة للتبشير بدعوة السيد المسيح وخاصة في دول أوروبا ، فالمفاهيم الأولية للسيد المسيح مشابهة للتعاليم المندائية وقريبة منها ، حتى شعيرة التعميد في بادئ الأمر نفسها التي يعمد نبي الله يحيى بها الناس ، آمن الناس بالسيد المسيح ودعوته وتعاليمه وآمنت به شعوب أوروبا وأمريكا اللاتينية وعدد من الشعوب الأسيوية والإفريقية ، وبذلك انتقلوا من الشرك والوثنية إلى التوحيد والإيمان ، وبذلك أثَّر المندائيون على عموم المجتمع باعتبارهم غرس التوحيد الأول وأول الأقوام المؤمنة بالله وبتعاليمه وأحكامه ووصاياه.

وأول الأقوام الذين مارسوا شعيرة التعميد والوضوء والصلاة وعلموها للناس ، وباعتبارهم بقايا السومريين كما يقول الباحث الدكتور خزعل المجادي ويؤكد بحثه هذا بالأدلة والبراهين ، فإن السومريين بناة الحضارة الأولى في العالم ، وهم مخترعو الكتابة المسمارية ، ونقلوا البشرية نقلة نوعية ، فالإنسان حيوان يقرأ ويكتب ، والكتابة والقراءة أساس بدء الحضارة الإنسانية وتطورها وتقدم البشرية. كذلك اخترع السومريون العجلة ، وما أحدثته هذه العجلة من تطور هائل في النقل وفي العلوم وفي الاستراتجية العسكرية ، وفي الصناعة والزراعة وكل مواقف الحياة ، وباعتبار المندائيين من بقايا السومريين كما يثبت ذلك الدكتور الماجدي ، فهذا يرجح كفة تأثيرهم على عموم الحضارة الإنسانية وتقدمها ، والسومريون أولاً وأخيرًا حضارة عراقية من حضارات بلاد ما بين النهرين ، فللعراقيين إذن قصب السبق في رفد الحضارة الإنسانية بأسباب التطور والازدهار. وهم الورثة الحقيقيون للإرث السومري ، فهم وحدهم يحملون الجينات السومرية التي نمت وأينعت وازدهرت فأثمرت حضارة راقية

في البناء والرسم والنحت وسن القوانين والتكتيك العسكري والإدارة والتنظيم، والمندائيون يحملون هذه الجينات التي كمنت زمن القهر والاضطهاد، ونشطت في مراحل كثيرة، فأفرزت علماء وأدباء وعباقرة أمثال آل قرة وآل الصابي زمن ازدهار العصر العباسي أيام الرشيد والمأمون، وأفرزت الدكتور عبد الجبار عبد الله زمن ثورة تموز المجيدة، ومازال المستقبل ينتظر المندائيين والعراقيين أن ينجبوا عباقرة للبشرية.

الدين المندائي والمجتمع :

يشميهون اد هيي ربي... إليك هذا النص من نصوص الكنزا ربا مبارك اسمه (من اد برهموث ماري بغرا اللغيطلي نشلم ادنقي هطايي نسق نهزوني الأثر نهورا) حرفيته (من صان جسده محبة للخالق يكتمل دون خطايا ويرتقي متطلعًا إلى بلد النور).

يبدو هذا النص للقارئ بسيطًا عابرًا – كما ذكر الأستاذ أمين فعيل حطاب في مقال له – ولكنه في عمقه يغطي رقعة كبيرة من الدين، لا بل هو الدين بأسره، فالغرض الذي يسمو به الدين لا يقتصر على الجانب النفسي ولا على الجانب العقلي ولا على الجانب الأخلاقي بالمستوى الفردي فحسب، وإنما امتد ليشمل المظهر الاجتماعي والسياسي العام، وهذا يمنح الدين المندائي في هذا التصور جانبًا عمليًا واضحًا يؤكد اتجاهه إلى الكيان الإنساني كله، وذلك بأشغاله الشخصية الإنسانية، وأتاح أوسع مدى لقواها وملكاتها، ولم يكن مجرد أمر يتعلق بالعقل أو القلب أو الإرادة وإنما يمتد ليجعل المندائي يسلك طريق السلامة والشرف المفضي إلى السعادة الأخروية، والضامنة لحسن سلوك مجريات الأمور في الحياة الدنيوية.

فلو عدنا للنص ودرسنا الجانب النفسي؛ لرأينا أن عقيدة النور جعلت المندائي مدركًا يعرف حق المعرفة أن الحي العظيم هو المبدع، وأن خلقه في غاية الكمال والتمام، وأنه عندما أنزل النفس في الجسد بعد أن سلحها بسلاح الناصورائية، وأورثها جميع صفاته؛ جعلها قرينة لذلك الجسد، وأن صيانتها للجسد من النقص والوفاء للخالق هو واجب سامي، أما العبث بأي جزء من أجزاء الجسد يعتبر خيانة للحي العظيم.

لذا نرى المندائي يحرص كل الحرص على سلامة جسده فقطع أي جزء منه كالكزارة مثلاً إذا لم يكن مجبرًا على ذلك؛ يعد خروجًا عن الدين المندائي وخيانة كبيرة تقود النفس إلى الجحيم، وحتى إذا كان مجبرًا فهذا يجرده من حقوق دينية كثيرة يتمتع بها الكامل الجسد.

أما من الجانب العقلي؛ فالإنسان الواعي يشعر أن هذا النص يدعوه إلى الصوم الكبير، وهو صوم العين والأذن واللسان والقلب والضمير، وهو صوم اليد والركبة والقدم، إنه الإمساك عن كل ما يحمل النفس خطيئة تجعلها تعاني من النقص والخسران.

أما من الناحية الأخلاقية فهو يفرض على المندائي الابتعاد عن كل النجاسات، مثل الزنا والفسق والرجس والدعارة، كما أنه يمنع الزوج من التقرب إلى زوجته وهي بعد لم تتطهر من نجاسة الحيض والطمث، ويمنع الإنسان عن ارتكاب الجرائم المخلة بالشرف والتي تجعل المجتمع ينظر إليه بازدراء واحتقار.

من هذا النص ومن نصوص عديدة تزخر بها كنوزنا المندائية نجد أن الدين المندائي يهدف إلى إنشاء مجتمع قويم واسع الأرجاء متكامل الأركان، يسوده العدل والنظام، فالحي العظيم هو العادل، وعدله يقتضي مادام قد كلف الإنسان أن يجعل له القدرة الفاعلة لفعل الخير، بحيث يكون هو المسؤول عن فعلته وليس للحي العظيم دخل في ذلك، بل يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة لأنه هو الحاكم هو الديان، وأن الإنسان في وضعه الدنيوي من أجل أن يكون عادلاً بحيث عدله يوفر له مكانة مرموقة في المجتمع؛ عليه أن يكون عادلاً مع نفسه، كقوله: (ريش كينوثخ كن نهشخ واتقبل مينيلي اد هكيمي) (رأس عدلك أن تعدل نفسك وأن تقبل أقوال الحكماء).

فالعدالة في الفرد أو التعاون الفعال بين طبيعته، فالإنسان عبارة عن عالم من الرغبات والشهوات والآراء، فإذا اتسقت هذه القوى النفسية وتعاونت فيما بينها ظهر هذا الإنسان رجلاً حكيمًا عادلاً، أما إذا اختل التوازن بين هذه القوى وسيطرت الشهوات على سائر القوى أو استبد العقل فيها بصورة مطلقة؛ تصدعت أركان الشخصية الإنسانية وسرى فيها الشر والفساد، فالعدالة إذن هي الحق والجمال والنظام في النفس، فالعادل لا يدع قواه الروحية تتجاوز حدود

اختصاصها واختصاص غيرها، وإذا هو سيد نفسه يعقل خلته ليكون على أتم وئام مع نفسه ويجعل القوى تعطي نغمة واحدة؛ إذن فعدالة الإنسان واقتدائه بعدالة الحي العظيم تمتد إلى علاقته في المجتمع، فيكسب ثقة الآخرين ويكون قدوة حسنة لغيره في المجتمع.

إذن فالإنسان في قواه النفسية يعتبر نموذجًا مصغرًا للدولة والمجتمع وهو حجر الأساس ومتانة المجتمع من متانته، إذن فالدين أمر واجب للمجتمع، فالعقيدة المندائية تحقق للمجتمع عناصر حيوية تضمن السلوك السوي والسيرة المستقيمة في حياة هذا المجتمع، ومن هذه العناصر الحيوية، الحياء، الأمانة، الصدق، ولكل عنصر مقوماته الخاصة ونتائجها القيمة بالنسبة للفرد والمجتمع توضح جميعها المزايا الخاصة التي يتمتع بها الدين المندائي والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها بنجاح، مدعومة بالشواهد التاريخية الموثقة التي تؤيد ذلك، أما ما يتصل بالعلم والتعلم فإن المندائية أعلت قيمة المعلم وجعلته يقتدي بالمعلم الكبير وهو الحي العظيم، أما القصور في ذلك فخطيئة لا تغتفر كقوله: (ويل للمعلم الذي لا ينتفع منه ومن علمه وويل له إذا لم يعلم حكمة الحق).

كما أقام الدين المندائي وظيفة المؤدب الذي يعمل على تصحيح السلوك بالدعوة إلى الفضيلة المتوجة بإعطاء يمين العهد (الكشطا)، والدعوة إلى نبذ الخلافات بقوله (لا نهوي بيناتيخون قينا وبلوغي ارهم وازبر اهدادبي وهو سيماخا الطايي اد ماطيلون اولا وردفا) ، (لا يكن بينكم الكره والضغينة والشقاق واسندوا بعضكم بعضًا وكونوا سندًا للطيبين الذين طالهم الظلم والمعاناة).

إذن فالدين المندائي ينهى عن الكره والضغينة والتفرقة لأنها تسعى إلى تفكيك عرى المجتمع وإضعافه، كما أقام الدين المندائي وظيفة المجاهرة بمحاربة الشر، وكبح جماحه وذلك بقوله (إن امتلكت القوة أيها الناصورائي كن كمختار صالح اختير لكل شيء أو كملك تقلد تاجه وأشعل حربًا في عالم الأشرار وحجر الشر ومريديه)، كما أن الدين المندائي لا يكلف النفس إلا وسعها بقوله:

(وإن لم تمتلك القوة كالمختار الصالح ، فكن أيها الناصورائي كالفلاح الماهر الذي يعمر الأرض ويعلي في أجوائها الشجر).

أي أنه في كل الأحوال يجب أن يكون عنصرًا مميزًا يقتدي به في المجتمع وأن يلتزم جانب الخير ويسعى لإضعاف الشر كقوله: (إذا مال الخير وقوى الشر فكن أشد ازرًا نحو الخير لتكبح الشر وتعيد الفضيلة إلى عرشها).

كما يدعو الدين المندائي المندائيين إلى المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية كمثالية دينية أساسية وليس لمجرد النفع المادي العاجل، لأنه يرى أن المجتمع مجموعة من العقول والأنفس أولاً، أما الصورة الشكلية للنظم فأهميتها بالنسبة للدين ثانوية لأن مجتمع العقول والأنفس يتطور عن طريق استيعابه للقيم النزيهة والمثل العليا التي يغذيها الدين فيه، فهو ينحو نحو الحصول على مقومات الكمال الحسي والثقافي كمثالية هادئة، ويسعى إلى تعميق هذه التجربة وإحيائها إلى درجة كبيرة، وبذلك تشعر النفس بالسلام والأمن والسكينة والمتعة والسعادة الروحية لاتصال النفس والعقل بالحي العظيم، وهذا الشعور قد يبدو فرديًا يحس به الفرد في خلوته، وقد يتمتع به الإنسان مع غيره داخل المجتمع، لذلك فهو يدعو لكسب الراحة والسلام بمنعزل عن العنف والغطرسة كقوله: (نياها نهوي البر من مريدا) (لا توجد الراحة إلا بعيدًا عن العنف).

كما يتيح الدين المندائي للفرد رؤية قصور الهمة ووجود النقص والإحساس بالذنب مع رؤية الطريق الواضح والخلاص، وقد تبدو في هذا المقام ذنوب التقصير في أداء الواجب مماثلة للذنوب الخاصة بارتكاب ما ليس مسموحًا به، ويبدو هذا واضحًا في النصوص التي تبدأ بكلمة (ويل) أو بكلمة (طوبى).

أما السماحة بتقبل التطهر والتبرك وإدراك الحق والخير والجمال في كل صورها، كمنح للحي العظيم الممنوحة للناس، ومن العجب أن يعد تقدير هذه القيم والتمتع بها أمر ملزمًا، وهي امتيازات إنسانية يتحلى بها المندائي ليكون مثلاً لغيره في المجتمع يقتدي به الآخرون.

كما أن الدين المندائي يتحدى المجرم بإفساح أوسع المجالات للتوبة وإعادة الفكرة الحسنة وتجديد السلوك، على أن تكون التوبة متوجة بأعمال خيرية تليق بها، وأن فكرة إمداد الحي العظيم بالعون على التوبة، وتصحيح السلوك وإنجاز العظيم من الأمور؛ تساهم بدرجة كبيرة في حمل المجتمع على استخدام أقصى طاقته، التي كان من الممكن أن تظل غافية في طي الكتمان والإهمال. ومن جهة أخرى إن إصرار الدين المندائي على الجانب الروحي كجزء أساسي في التقدم الاجتماعي يجعله بلا شك أبعد عمقًا من الكثير من النظريات التي تضع ثقلها كله على التنظيم الشكلي والخارجي للمجتمع.

أما من ناحية موقف الدين المندائي تجاه الآلام والمحن والأحزان فذلك فريد للغاية، فهو من جهة يشعر الإنسان بأنه يجني هو ثمرة ما يزرع، ومن ثم يوجهه الإنسان بطريق مباشر أو غير مباشر، إلى ضرورة تفادي ما تسوء عاقبته وما لا يحمد مصيره.

أما فيما يتصل بالحوادث القاهرة فيرشد إلى التحمل والصبر الواثق بالحي العظيم الذي يهيئ السبيل إلى كشف الغمة وإلى التقوية على التحمل، ومما لا جدال فيه أن المحن والآلام والأحزان تعتبر تحديًا سافرًا للنفس الإنسانية، وبالدين تتحمل الطاقات العقلية والسلوكية مسؤوليتها في استئصالها أو منعها أو تفادي الانهيار أمامها.

إن الدين المندائي علَّم الناس من خلال حِكمه ومواعظه وعبره أن المحن والبلاء سنة حتمية في هذا الوجود، قد تتخذ محكًا لتطوير وإنضاج الشخصية الروحية للمندائي، حتى يسترد ابتسامته أضعافًا مضاعفة بعد أن ضاق الفرق بين الأفراح والأتراح مع هذا، فالدين المندائي يحرص على توازن الشخصية المندائية وعدم تعرضها للاضطرابات المفاجئة خضوعًا لتيارات البؤس المتقلبة، وإنه علم المندائي أنه لابد في النهاية من انتصار النور على الظلام، والخير على الشر والحق على الباطل، لذا فهو يعد بالنجاة والخلاص بعد أن أكد أن قدرًا من هذه النجاة يتحقق من خلال بعض الصعاب وتحمل الآلام، فلم

يكن الدين المندائي مجرد مذهب سطحي للتفاؤل ولم يكن مدعاة للتشاؤم القانط. فالتفاؤل لا يكون مقنعًا إلا إذا ارتبط بالدين حيث يرسو في النهاية على إدراك الحياة والغاية منها، وإلى الظفر بمحبة الحي العظيم، وشرف اللجوء إليه وعزة الاحتماء به وسعادة الإقامة في موطنه، وهذا بالطبع يدفع المندائي لأن يكون سباقًا في عمل الخير عن ثقة وسعادة، ويرى أن للكفاح والجد والعمل جدارة لا تباري كقوله: (من اهلا وتنغر نيثي وننسب طبوثا بتارتين ايدي ومن لاهلا ولا تنغر هاتم باهش بكنفي ولامشكي) ، (من تعب وتعذب يأتي ليأخذ الخير بيديه ومن لا يتعب ولا يتعذب يبحث عما حوله دون جدوى).

يوازي هذا النص المثل القائل: (من جد وجد ومن زرع حصد ومن لعب نكد)، ومن الجدير بالذكر أن المندائية تصف السعادة التي بدونها يغدو الوجود الإنساني خاليًا من كل معنى، أن تسمو على كل المتع والآلام التي لا يمكن لأي إنسان ممزق النفس موزع الخواطر مشرد الذهن أن يدركها ويشعر بها.

إذن فالسعادة هي تكامل النفس ووحدتها بينما كل توزع وتفرق وتشتت داخل النفس يبعد عن الحي العظيم، وأخيرًا يؤكد الدين المندائي بالاستمرار الروحي بعد الموت والحصول على الكمال والسعادة دون أي شائبة، ولا يكون له شفيع في الآخرة إلا أعمال الخير التي أنجزها للحي العظيم وللمجتمع بأسره.

الصابئة المندائيون : نسيج من الطيف العراقي [1]

يعتبر الصابئة أو الصبة كما يسميهم البعض؛ خيطًا من نسيج المجتمع العراقي كيف لا وهم من أقدم الديانات في العالم القديم، ولكن ظروف التهميش والتقتيل التي تعرضوا لها عبر التاريخ جعل منهم طائفة منطوية على نفسها، ومنزوية في ثنايا المجتمع، فلم يعرف عنهم شيء وهكذا كانوا عبر الأزمان، وبعد الانفتاح الحضاري وحوارات الأديان ووصول الكثير منهم إلى درجات علمية وأدبية عالية المستوى وظهور أوساط مثقفة بينهم، وبالخصوص رجال الدين المتفتحين الذين بدأوا بنشر أفكارهم وعقائدهم بطرق علمية؛ أخذ الكثير يغير النظرة عنهم وسنتناول ما يلي موجزًا عن عقائدهم والنظرة عنهم دينيًا وتاريخيًا.

جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

١- في سورة البقرة ٦٢- ٧٢: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

٢- في سورة المائدة ٦٩ : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ).

٣- في سورة الحج ١٧ : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

في اللغة صبأ في لغة العرب "خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم، أي تخرج من مطالعها"، والصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح (ع)،

١- مقال مهم للأستاذ سعد شريف طاهر.

وفي الصحاح جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار ، والصابئي تعني (المتعمد) مشتقة من فعل (صبأ) المندائي الآرامي ، ويعني (تعمد) أو (اصطبغ) وكلمة الصابئة مشتقة من الفعل الآرامي المندائي (صبأ) أي غطس ، ارتمس ، تعمد بالماء الجاري والمندائيون مشتقة من الفعل الآرامي ، مندا وتعني العالم – العارف– فيكون معنى الصابئة المندائيون الصابغون العارفون بدين الحق.

أقسام الصابئة :

يمكن تقسيم الصابئة إلى :

١- الصابئة المندائيون : أصحاب الروحانيات.

٢- الصابئة الحرانيون : أصحاب الهياكل.

٣- الصابئة الهنود : أصحاب الأصنام.

٤- صابئة الرومان واليونان وغيرهم.

أركان الديانة المندائية :

١- التوحيد : جاء في افتتاحية الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (الكنزا ربا) الصحف الأولى (باسم الحي العظيم سبحانك ربي العظيم ، أسبحك ربي بقلب طاهر ، رب العوالم كلها مسبحًا مباركًا ومعظمًا ذا الوقار والجلال الله الرب العلي ، سبحانك ملك النور السامي ذا الحول الشامل الذي لا حدود لقدرته ، النور البهي والضياء الساطع الذي لا ينضب ، الرؤوف ، التواب الغفور الرحيم ، مخلص كل المؤمنين وناصر كل الطيبين ، العزيز الحكيم العليم البصير العارف الذي على كل شيء قدير ، رب عوالم النور جميعها العليا والوسطى والسفلى ، ذي السيماء العظيم ، المعوقر الذي لا يُرى ولا شريك له بملكه ، ولا كفء له بسلطانه ، من يتكل عليه لا يُخذل ، ومن يسبح اسمه بالحق لا يخيب ، ومن يتوكل عليه لا يذل ، رب الملائكة جميعًا ، لا وجود بدونه ، وما من شيء لولاه ، أزلي ليس له بداية وأبدي ليس له نهاية ما كان لأنه ما كان ، ولا يكون لأنه لا يكون خالد فوق كل الأكوان).

٢- التعميد : والصباغة (صبغة الله)، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم : { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً }[١]... وردت على لسان السيد المسيح (ع) بقوله للنبي يحيى بن زكريا (ع) (وبالصبغة التي بها تصبغ اصبغني)... والتعميد ركن أساسي وهو فرض وواجب على كل صابئي ليكون صابئيًا

١- القرآن الكريم : سورة البقرة-الآية ١٣٨.

ومندائيًا ، ويهدف إلى فتح باب الخلاص والتوبة وغسل الذنوب والخطايا والتقرب إلى الله، ويجب أن يتم في الماء الجاري ويوم الأحد، لأن الأحد هو رأس الأيام (هاد شبا- أول السبعة)، ويؤمن الصابئة بأن التعميد بدأ في عوالم النور العليا حيث تعمدت الملائكة وأنزل التعميد إلى الأرض عن طريق الملاك جبريل (هيبل زيوا)، حيث عمد آدم وحواء وأصبح سنة لآدم وذريته من بعده.

٣- الصلاة: جاء في الكنزا ربا عن جبريل الرسول يقول لآدم (ع) (جلست إليه وعلمته ما حملني ربي علمه الحكمة والتسبيح ، أن قم اسجد وسبح للحي العظيم ثلاث فترات من النهار وفترتين في الليل ، وأمرناكم أن اسمعوا صوت الرب في قيامكم وقعودكم وذهابكم ومجيئكم وفي ضجعكم وراحتكم وفي جميع الأعمال التي تعملون)، ويسبق الصلاة الوضوء (الرشامة) أي رسم كل أجزاء الجسد بالماء الجاري النظيف، ويكون بغسل الوجه ويقول المتوضئ (مبارك ومسبح اسمك يا حي ، مبارك حي السيماء العظيم الموقر الإله الحي انبعث من ذاته)... وغسل الفم ويقول (ليمتلئ فمي بالصلوات والتسبيحات) ، وغسل الأذنين ويقول (أذناي تسمعان لأقوال الحي)، وغسل الركبة ويقول: (ركبتاي ساجدتان للحي العظيم)، وهكذا باقي أعضاء الجسد، ويجب أن يكون المصلي طاهر الجسد، لابسًا البياض، واضعًا غطاء الرأس، أما مبطلات الوضوء هي: خروج الريح، البكاء، الضحك، لمس أية نجاسة... الخ.

٤- الصيام: هناك نوعان (باسم الحي العظيم كل إنسان يرقب نفسه ، ومن يرقب نفسه يخلص من النار الأكول).

<u>الصيام الكبير (صوم ربا)</u>: وهو الامتناع عن كل الفواحش والمحرمات وكل ما يسيء إلى علاقة الإنسان بربه، ويدوم طيلة حياة الإنسان على هذه الأرض (صوموا الصوم العظيم ولا تقطعوه إلى أن تغادروا أجسادكم ، لا عن مأكل ومشرب هذه الدنيا ، صوموا صوم العقل والقلب والضمير).

الصوم الصغير: وهو الامتناع عن تناول لحوم الحيوانات وذبحها، أي الامتناع عن أكل شيء ذي روح، ومدته ٣٦ يومًا متفرقة على أيام السنة ٣٦٠ يوم.

٥- الصدقة: ويشترط فيها السر وعدم الإعلان عنها، لأن في ذلك إفساد لثوابها، وهي من أخلاق المؤمن وواجبه تجاه أخيه الإنسان، (طوبى لمن وهب فإنه لمأجور، طوبى لمن كسا فسيكسى أردية من نور) ، (أعطوا الصدقات للفقراء وأشبعوا الجائعين واسقوا الظمآن واكسوا العريان لأن من يعطي يستلم ومن يقرض يرجع له القرض).

قبلة الصابئة المندائيين:

يؤمن الصابئة أن الرب العظيم مقيم في جميع الفضائل، وأن الحياة بشموليتها، ويتجه الصابئة في صلاتهم وفي موتهم إلى جهة الشمال، لإيمانهم أن عرش الله الجنة؛ هي في شمال الكون القاصي الذي تعرج إليه النفوس في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها.

أعياد الصابئة:

ملاحظة: تتأخر أعياد الصابئة يومًا كل ٤ سنين عن التقويم الميلادي حسب شباط السنة الكبيسة...

١- البنجة أو البرونايا: عيد الخليقة العلوي، وهي ذكرى خلق وتكوين عوالم النور والأرواح الأثيرية، وفيها تفتح بوابات النور وتنزل الملائكة والأرواح الطاهرة فيعم نورها الأرض لتصبح جزء من عوالم النور، وتعد هذه الأيام أسرار البداية المقدسة وفجر الحياة الأولى التي أوجدها الحي العظيم، وصادف ١٦ آذار ٢٠١٢ في هذا العام.

٢- عيد التعميد الذهبي (ديمانا): في هذا اليوم ذكرى تعمد النبي يحيى بن زكريا، ويجب على الفرد المندائي أن ينال التعميد بعد ٣٠ يومًا من ولادته، إذ

يعد هذا الطقس ولادة روحية له ليكون مندائيًا، ويحصل على الاسم الديني الذي يذكر به عند قراءة الفاتحة المندائية عليه بعد موته، وصادف ٢٠ أيار ٢٠١٢م.

٣- عيد الخليقة المادي دهوا ربا (العيد الكبير): وفيه وجدت الكواكب في السماء والشمس والقمر وجمدت الأرض ورفعت كل في مدار هذا الخلق ستة أيام، وهو بداية السنة المندائية، وصادف ٣٠ تموز ٢٠١٢م.

٤- عيد الإزهار دهوا هنينا (العيد الصغير): وفيه نزل الملاك جبريل الرسول وقيد الشر والشياطين الذين يعيثون في الأرض فسادًا ودمارًا، وبأمر الحي العظيم شقت الأنهار وزرعت النباتات وهيأت الأرض من كل شيء لأجل خلق آدم وحواء، وصادف ٤ تشريف الثاني ٢٠١١م.

أُسس الإيمان المندائي:

١- الإيمان برب خالق الأكوان منزه عن السيئات، مقيم في ملكوته الحي، هو غير محدود، أزلي في كينونته، ليس له حدود في صفاته.

٢- الإيمان أن هذا العالم جزء بسيط وصغير جدًا من خلق الخالق العظيم.

٣- الإيمان بأن هناك معركة ما بين الخير والشر في هذه الحياة، ولابد للخير أن ينتصر من خلال الإيمان والتقوى ومحبة الله ومخافته.

٤- الإيمان بوجود الحياة الأخرى، وأن الإنسان يجب أن يحاسب على أعماله وعبادته عند وفاته، وفي أماكن خاصة تسمى المطهرات من قبل الله سبحانه، فهو القاضي والديان الذي يحاسب الأنفس عند خروجها إلى موطنها السماوي.

٥- الإيمان بوجود الشر والشيطان والكائنات الشريرة التي تحاول استغلال الإنسان ليسقط في حبائلها.

٦- الإيمان بالمعرفة لأنها الطريق الموصلة إلى رب الوجود وعلو هذا الكون، وبالتالي الاتحاد بملكوته.

٧- الإيمان بأنبياء الله الذين هم رسل ومعلمون على هذه الأرض وجاءوا برسالة من السماء من أجل إنقاذ البشر من شباك الضلال وهدايتهم إلى طريق الخير والصلاح.

أنبياء الصابئة:

١- النبي والأب والرجل الأول آدم (أبو البشر) الذي يحتفظ المندائيون بصحفه السماوية.

٢- النبي شيتل ابن آدم الرجل الأول (الغرس الطيب) الذي فدى والده فكانت روحه الأقدس من بين البشر.

٣- النبي نوح.

٤- النبي سام بن نوح (المتعبد الخاشع).

٥- النبي إدريس (دانخوت) الذي رفعه الله إلى السماء العليا – باسم الحي العظيم – (ورفعناه مكاناً عالياً).

٦- النبي يحيى بن زكريا – يوحنا المعمدان – (الحبيب المرتفع).

الإيمان باليوم الآخر:

جاء في الكتاب المقدس (الكنزا ربا): باسم الحي العظيم (حيث يكتمل العالم، تسقط الأرض في الظلمات والسماء تلتف مثل القصب، الشمس تنطفئ، القمر يختفي، تتناثر الكواكب كأوراق التين، تذهب النار إلى كنها، المياه تؤوب إلى مقرها، الرياح الأربعة تطوي أجنحتها وتتوقف عن الهبوب، أما الأشرار فسينادي بعضهم بعضًا... ثم يسقطون في غياهب الجحيم.

كتب الصابئة المقدسة:

١- <u>الكنزا ربا (الكنز العظيم) (الصحف الأولى)</u>: وهو الكتاب الروحي المقدس، وهو فعلاً كنز لما يحتوي من مفاهيم وكلام الرب العظيم، وقد أنزل هذا الكتاب عن طريق الملاك جبريل الرسول على الأنبياء (آدم وشيتل وسام وإدريس

ويحيى)، وقد نقل عن الآباء الأوائل حفظًا عن ظهر قلب، ونسخًا عن طريق الإسناد، إذ يحتوي على الأسفار المتعلقة بخلق الله للعوالم النورانية (الجنة)، والأكوان والأرض والشرائع الإلهية والتعاليم الروحية والنصائح والأمثال والحكم التي تناسب البشر في كل الأزمنة ويسمى هذا القسم الأيمن، أما القسم الأيسر فيسمى (كنزا سمالا)، وهو مجموعة تراتيل تخص الموت، وعلى مجموعة من القصص الخاصة برجوع وعروج النفس إلى موطنها الأصلي الذي نزلت منه (عالم النور)، أما اللغة التي كتبت بها التي هي متداولة لحد الآن فهي لغة آرامية شرقية، ويقصد بالشرقية في الأصل من وادي الرافدين وبقيت محافظة على أولها وقواعدها ومعاني كلماتها.

٢- سيدرا أو نشمثا (كتاب الأنفس): ويضم قصص هبوط النفس في جسد آدم (مبارك اسمه) ويحتوي أيضًا على مجموعة كبيرة من التراتيل والأناشيد التي تتلى في التعميد والعروج، دراشا اد يهيا أي كتاب يحيى ودروسه ويقال له (سدرا أد يهيا) أي تعاليم يحيى، يحتوي على حكم ومواعظ وتعاليم النبي الأب والمعلم البار (يهيا يهانا – يحيى بن زكريا).

٣- القلستا: أي كتاب عقد الزواج يضم تراتيل وأناشيد ترنم في مراسيم الزواج المندائي.

٤- نياني الرهمي: أي كتاب الأناشيد أو التراتيل الدينية، وهو كتاب خاص بالأدعية والصلوات.

٥- نياني مصبتا: يضم تراتيل وشرح التعميد.

٦- توجد أيضًا عدة دواوين وهي عبارة عن شروحات عملية للطقوس الدينية منها (ترسر ألف شيالة) (أي كتاب الاثنى عشر ألف سؤال) وديوان أباثر والمارياشايا، المازوطا وحران كويثا الذي يتحدث عن نقاط مهمة في التاريخ المندائي وكتاب كداوا كد فياتا أي (العوذ)... الخ.

الدرفش:

هي راية السلام وتسمى أيضًا راية النبي يحيى والراية المتقنة، وهي راية دينية تنصب أثناء إجراء المراسيم الدينية، وتتكون من غصنين من الزيتون للدلالة على السلام توضع على شكل + (قريبًا إلى الصليب) للدلالة على الاتجاهات الأربعة وقطع قماش من الحرير الخز الأبيض للدلالة على الطهارة والنقاء وأغصان من الآس للدلالة على الحياة الأزلية وهذه الصفات من الواجب أن يتحلى بها كل صابئي.

بعض المحرمات في الديانة المندائية:

١- الجدف باسم الله (الكفر به).

٢- القتل، السرقة، الكذب، التأويل، شهادة الزور، الحسد، النميمة، الغيبة، خيانة الأمانة والمعشر، وكل ما يسيء التصرف الإنساني.

٣- الزنا.

٤- السجود لغير الحي العظيم وعبادة الكواكب والبشر والنار والماء وكل شيء غير الخالق الأزلي.

٥- السحر والشعوذة بكل أنواعها.

٦- قتل الحيوان بدون سبب وأذيته عند نحره.

٧- أكل دم الحيوان والميتة منها وذبح الحامل وكل الحيوانات المفترسة.

٨- كل الأعمال التي تضر صحة الإنسان الجسدية والروحية والعقلية.

٩- شرب الخمر.

١٠- البكاء والنواح ولبس السواد على الموتى.

١١- إعطاء الصدقة والتحدث بها.

١٢- الربا والتعاطي بالربا سرًا والختان، وأي تغير جسد الإنسان الذي وهبه الله له (بأحسن خلق).

١٣- تلويث الطبيعة والأنهار.
١٤- الانتحار وإنهاء الحياة والإجهاض المتعمد.
١٥- عدم أداء الفروض الدينية والحلف الكاذب.

سورة الفاتحة المندائية:

تقرأ الفاتحة في الفواتح وقبل حمل جنازة المتوفى من قبل حاملي الجنازة الأربعة، وعند زيارة المقابر: (يشميهون أد هيي ريي ، لوفا وارواها اد هيي وشابق هطايي نهويلي لهازا نشمثة "لملواشة" الديلي مسحثة وشابق هطايي نهويلي)... وتعني (بسم الحي ربي العظيم ، المغفرة والرضا وغفران الخطايا تهدى لروح "اسم المتوفى الديني" صاحب هذا الثواب الذي أرجو له غفران الخطايا).

الصابئون وذرية آدم والعوالم الأخرى:

حسب العقيدة المندائية لم يتزوج أبناء آدم أخواتهم إنما أرسلت البنات إلى عالم آخر فيه أناس مثلنا، يسمونه (مشوني كشطة) أي أرض العهد، وجيء بفتيات من مشوني كشطة أولاد آدم فتزوجوهن، ومقولة (آدم من طين اهوه، هوه زوي من كان ادنافش اهوت) أي (آدم من طين وزوجته حواء من نفسه وبذلك فهي أطهر من الطين) وبذلك فتسمية الابن باسم أمه أعلى من تسميته باسم أبيه.

اعتقد المندائيون؛ ربما لاهتماماتهم الفلكية؛ بوجود بشر خارج كوكب الأرض فالكواكب السماوية عندهم ما دون عالم النور اتخذت سكناً للبشر (الشبه روحيين) والكائنات النورية، وترشد كتبهم الدينية إلى عوالم يسكنها بشر مثلنا وخصوصًا في عالم العهد امشوني كشطا، وتذكر أيضًا أن البشر في ذلك العالم لا يختلفون عنا كثيرًا.

ويصف غضبان الرومي المثقف المندائي العراقي البارز مستقبل العلاقة بين إنسان الأرض وإنسان الكواكب الأخرى حسب تصورات ديانته بالقول (من

ذريتهن تكون الإنسان الحالي الذي أخذ يزحف من عالمنا هذا نحو الكواكب الأخرى، وليس ببعيد أن يصل في أخر المطاف إلى عالم امشوني كشطا، وينزل ضيفًا على أخواله هناك، مستقبلاً من أبناء عماته).

الصابئون في القرن الواحد والعشرين:

شهد القرن العشرون قفزة كبيرة على صعيد الثقافة المندائية، خصوصًا في الثلاثينات عندما عاشت الباحثة والمستشرقة الانجليزية الليدي دراور متنقلة في جنوب العراق ما بين المندائيين لدراسة دياناتهم وتراثهم نحو أربعين عامًا، وأزاحت الكثير من الغموض عن الديانة المندائية وتاريخها وتراثها الديني واستطاعت أن تترجم أغلبية الكتب والمخطوطات المندائية إلى الانجليزية ويعتبر كتابها الضخم (الصابئة المندائيون) الذي ترجم للغة العربية مرجعًا للباحثين.

وتصدى المؤرخ العراقي السيد عبد الرازق الحسني للكتابة عن الصابئين فكانت رسالته (الصابئة قديمًا وحديثًا)، المطبوعة في القاهرة سنة ١٩٣١ والتي أعقبها بمقالة مطولة نشرت في (الهلال) أيار ١٩٣٢ قد أثارت ضجيجًا وإنكارًا من الصابئة جرته إلى مرافعات ومحاكم طال أمدها، وأصدر كتابه (الصابئون في حاضرهم وماضيهم) الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤، واستمرت إلى الطبعة التاسعة سنة ١٩٨٤م، ورغم تحفظ الصابئة عليه لكنه فتح نافذة على هذه الطائفة والديانة العريقة.

وكتب الدكتور أسعد السحمراني من جامعة بيروت العربية في (من قاموس الأديان) عن الصابئة والزرادشتية واليزيدية عام ١٩٩٧ أفرد الجزء الأول للصابئة أفراد فيها (٣٣) صفحة للتحدث عنهم، وكتب الدكتور رشيد الخيون (الأديان والمذاهب بالعراق) منشورات الجمل ط٢ ٢٠٠٧ وأفرد الفصل الأول للحديث عن الصابئة ب ٣٥ صفحة وكتاب (المندائيون في الفقه والتاريخ الإسلامي) سنة ٢٠٠٥.

وشمر مثقفو الصابئة عن سواعدهم ليظهروا ديانتهم فكتب غضبان الرومي كراسة (تعاليم دينية لأبناء الصابئة) عام ١٩٧٨ ط٢ ، وتبعها بكتاب (الصابئة) سنة ١٩٨٣ ، ذكر في آخر مؤلفاته وهي : (صابئة العراق- الصابئة المندائيون ترجمة من الانجليزية نعيم بدوي- أساطير صابئية- النبي يحيى في زمانه وتعاليمه- جذور الصابئة).

وكتبت الأديبة ناجية المراني (مفاهيم مندائية) ، وكتب الدكتور عقيد خالد والدكتور يحيى أحمد (الصابئة المندائيون نبذة تعريفية) سنة ٢٠١٠ من منشورات ديوان أوقاف المسيحيين والديانات الأخرى.

أما على الصعيد الإعلامي فقد أصدرت مجلة آفاق مندائية العدد الأول سنة ١٩٩٩ ووصلت إلى العدد ٥٣ لسنة ٢٠١٢ ، وهي تغطي نشاطات أبناء الطائفة الثقافية والاجتماعية والدينية، وأصدرت مجلة هيمنوثا (الإيمان) عدد خاص عن النشوء والخلق سنة ٢٠٠٠.

وهناك (حياة الأنبياء المندائيين) ترجمة وإعداد أيار ناصر شنان إشراف الشيخ ستار جبار حلو ، وقد نشرت الصحف العراقية والقنوات الفضائية ، خصوصًا بعد التغيير ابتداء من سنة ٢٠٠٣ الكثير من المقالات والبحوث والاستطلاعات والبرامج الخاصة بهذه الطائفة ، مما أتاح للجميع التعرف المفصل على هذه الطائفة.

ولا يفوتنا ذكر قانون الحكومة العراقية رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٣ المنشور في الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية) عدد ٢٢٤٤ في أيار ١٩٧٣ ، والذي يحدد فيه أعياد الصابئة الأربعة واعتبارها رسمية للطائفة.

وتجدر الإشارة إلى نشاط المجلس الروحاني الأعلى للطائفة بالمشاركات في المؤتمرات الوطنية والإقليمية في حوار الأديان في النجف سنة ٢٠١١ وطهران سنة ٢٠١٢ ، وكانت مشاركات ممثلي الطائفة فعالة ، واطلعت الحاضرين على الدور الحضاري والتاريخي للطائفة.

وبعد التغييرات في العراق وإيران في الفترات الأخيرة؛ هاجر معظم أبناء الطائفة بسبب التعسف الطائفي والديني إلى أوروبا وأستراليا وأمريكا، ويبلغ الصابئة فيها ١٥ ألف نسمة، وفي العراق ١٥ ألف أيضًا، وفي إيران ١٥ ألف أيضًا حسب أخر تقديرات المجلس الروحاني للطائفة في ٢٠١٢.

وقد زار وفد من شيوخ الطائفة هيئة علماء المسلمين، وتم شرح معاناة أبناء الطائفة في أيار ٢٠٠٤، وزار الوفد علماء المسلمين الشيعة في النجف سنة ٢٠١١، والتقى آية الله العظمى السيد علي السيستاني الذي أشاد بالأقليات العراقية ودورها بالنسيج العراقي، وزار السيد عمار الحكيم مندا الطائفة بعد لقاء الوفد مع السيد عبد العزيز الحكيم، ويعتبر المندي (دار العبادة للطائفة والذي يعني بيت المعرفة والإيمان) في حي القادسية في بغداد مركز إشعاع حيث يحتوي على قاعة كبرى للاحتفالات وقاعات صغيرة للمناسبات والفواتح والمدرسة المندائية التي خرجت الكثير، وأقيم حفل تأبيني كبير للراحلة ناجية المراني في ١٧- ٨- ٢٠١١.

وأقام المرجع الديني السيد حسين الصدر حفلاً تأبينيًا في الذكرى المئوية لميلاد العالم العراقي الراحل الكبير عبد الجبار عبد الله في الكاظمية في ١٩- ١٠- ٢٠١١، ودعا فيه شيوخ الطائفة وتحدث في كلمة نقلتها قناة السلام الفضائية ومجلة آفاق مندائية العدد ٥٣ سنة ٢٠١٢؛ رحب فيها برئيس الطائفة والوفد المرافق له أجمل ترحيب، وأكد على وحدة العراقيين عبر التاريخ، وعن تاريخ الصابئة وعراقتها، وعبر رئيس الطائفة عن امتنانه لهذه الالتفاتة الكريمة، مؤكدًا على لحمة النسيج العراقي، وشارك كاتب البحث بكلمة استعرض ما ذكره المؤرخون والباحثون عن تلك الشخصية العلمية الفذة، وعن الشخصيات الصابئية العلمية والأدبية والفكرية عبر التاريخ.

وأخيرًا نختم بقوله تعالى: { رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[1].

نعم إنهم أخوة لجميع العراقيين بمختلف انتماءاتهم الدينية والعرقية وهم من الأنسجة اللامعة من الطيف العراقي الواحد.

١- القرآن الكريم : سورة الحشر ، الآية ١